مجلة العلوم الانسانية الدولية، ١٤٣٣/٢٠١٢ هـ.ق، العدد ١٩ (٣) ٧٩-٩٣

Downloaded from aijh.modares.ac.ir at 10:39 IRDT on Monday August 31st 2020

جنون العارف وحب الزاهد في ضوء الحب العذري
(شيخ صنعان وسلاَّمة القس نموذجاً)

يحيى عبيد صالح عبيد[١]، غلامحسين غلامحسينزاده[٢]، كُبرى روشنفكر[٣]

تاريخ الوصول:١٤٣٢/٣/١٦ تاريخ القبول: ١٤٣٢/٧/١٨

تُعتَبر قصة شيخ صنعان (ف٢١١ هـ.ق) من أشهر قصص الحب العرفاني عند العرفاء والزهاد وهي تقابل قصة عبدالرحمن ابن أبي عمَّار الجشمي الناسك المشهور بالقس (ف٨٣ هـ.ق) عند الزهاد. تميزت قصة سلاَّمة القس بوجود خصائص الحب العُذري فيها وهو النوع الذي يراه العرفاء والزهاد الطريق المؤدي إلى الحب الحقيقي وشرطاً للوصول إلى المحبوب الأزلي حسب المقولة الشهيرة «المجاز قنطرة الحقيقة».

بعد دراسة قصة شيخ صنعان والبنت المسيحية تبين وجود عناصر الحب العذري فيها وأنّها ملائمة جداً للمقارنة بينها وبين قصة سلاَّمة القس باستخدام المنهج التاريخي اولاً ثم المنهج الوصفي- التحليلي على أساس النقد الأدبي والمقارن للمدرسة الأمريكية من حيث المضمون وموضوعات الحب العذري مع مراعاة خصائص هذا النوع من الحب لما له من أهمية في البحث الأدبي خصوصاً الغزل وصلة الحب العذري بالحب الإلهي، لذا فأنّ كشف أوجه الاختلاف والتشابه بين القصتين للوصول إلى الاختلافات الفكرية والثقافية والمذهبية السائدة في ذلك الوقت سيُلفت إنتباه الباحثين في هذا المجال إلى إمكانية دراسة قصص الحب بنظرة جديدة ومقارنتها مع نظيراتها في ضوء الحب العذري.

الكلمات الرئيسية: شيخ صنعان، سلاَّمة القِس، مضامين الحب، الحب العذري، الأدب المقارن

١. طالب دكتوراة بقسم اللغة الفارسية و آدابها، جامعة تربيت مدرس، طهران، yahyaobaid@live.com
٢. الأستاذ المشارك بقسم اللغة الفارسية و آدابها، جامعة تربيت مدرس، طهران، gholamho@modares.ac.ir
٣. الأستاذة المساعدة بقسم اللغة العربية و آدابها، جامعة تربيت مدرس، طهران، KRoshanfekr@gmail.com

Downloaded from aijh.modares.ac.ir at 10:39 IRDT on Monday August 31st 2020

مقدمة

تعددت قصص الحب لدى الزهاد والفقهاء والعرفاء والمتصوفة بتعدد مواقعهم ومواقفهم وأخذت طابعاً تعليمياً مليئاً بالعبرة والموعظة. هذه القصص تتشابه بعض الأحيان في بدايتها أو نهايتها وقد تختلف في سرد الأحداث. وتتميز قصص هؤلاء الزهاد بالقصر والإيجاز وعمق المضمون، وقد تكون قصة شيخ صنعان أطول قصة قصيرة عرفها الزهاد والفقهاء.

نجد شخصيتي القصة الرئيسيتين متشابهتان في معظم هذه القصص، كأن يكون المحب فقيهاً زاهداً والمحبوبة فتاة نصرانية أو جارية جميلة أو مغنية ذات طربٍ ووَلَهٍ وما إلى ذلك.

لقد حازت قصة شيخ صنعان على أهمية كبرى لدى الباحثين فمنهم من قال أنّ لها جذوراً تاريخية قديمة، إلا أنّ بطلها لم يكن شيخ صنعان، ومنهم من يعتقد أنّها من نسج الخيال، ومنهم من ذكر أنّها مستوحاة من عدة قصص مثل: راقد الليل؛ صالح المؤذن (ف؟)؛ ابن السقاء؛ علي المقرئ ولي خانقاة سمرقند والعابد الذي عبد الله ٣٠٠ عام على ساحل البحر (عطار: ١٣٨٧، ص٥٦- ٦٥) وكذا قصة الرجل الذي أحب النصرانية فتنصَّر قبل موته علَّه يلقاها في الآخرة واسلمت هي الأُخرى أملاً في أنّ تراه في الآخرة.

تطالعنا قصة شيخ صنعان بادئ ذي بدء في كتاب تحفة الملوك المنسوب للغزالي (راجع: دانش پژوه، ١٣٤٤، ص٢٩٥) ومن ثمَّ كتاب منطق الطير لفريد الدين العطار (راجع: عطار، ١٣٨٥، ص٦٧- ٨٨)؛ لكن برغم ذلك فمازال سبب إختيار العطار لشخصية شيخ صنعان بطلاً لروايته مجهولاً. وبحسب ما ورد في موسوعة الألقاب اليمنية أنّ شيخ صنعان يعود في نسبه إلى الأبناء، (المقحفي، ج١، ص١٨) والأبناء هم الإيرانيون الذين حاربوا جنباً إلى جنب مع سيف بن ذي يزن لإخراج الأحباش من اليمن. وأكبر الظن أنّ هناك علاقة بين اختيار الشخصية وبين الأصل القومي لها. أما بعض المحققين فقد رجَّحوا أنّ شيخ صنعان هو الأستاذ عطار (ستاري، ١٣٨٧، ص٨) والبعض الآخر يرى أنّ العطار تقمَّص شخصية شيخ صنعان (القيسي، ١٩٦٥، ص٦).

تطالعنا قصة سلاَّمة القس في كتب الأدب العربي بادئ ذى بدء في كتاب عيون الأخبار لابن قتيبة (راجع: ابن قتيبة، ١٩٩٦،ج٤، ص١٣٤) ثُمَّ كتاب الأغاني لإبي الفرج الإصفهاني (راجع: الإصفهاني، ١٩٣٥، ج٨، ص٣٣٥). هذه القصة هي أقل حِدّة من القصص السالفة الذكر، حيث لا إفراط ولا تفريط فيها وتتشابه في سياقها مع قصص حب الفقهاء والزهاد إلا أنّه لا يوجد فيها إسراف وكفر، بل حب عفيف طاهر غلب عليه الوجد والتأمل من أمثال قصة حب عبيد الله بن عتبة بن مسعود مع عثمة (الجواري، ٢٠٠٦، ص١٠٦) وقصه حب ابن حزم مع الجارية التي نشأت في دارهم (راجع: ابن حزم، ١٩٩٣، ص٢٤٩) وما ورد من قصص تشبهها في كلٍ من ديوان الصبابة لابن أبي حجلة؛ مصارع العشاق للسراج القارئ؛ كتاب الزهرة لابن داود الظاهري وروضة المحبين لابن قيِّم الجوزية ولو دققنا أكثر لوجدنا أنّ مؤلفيها هم من طبقة الفقهاء، فكل هذه القصص تُظهر مدى تأثر الفقهاء والزهاد بالمرأة – التي كانت يوماً ما سبباً في إخراج آدم من الجنة – على الرغم من عبادتهم ونسكهم. وما أجمل ما قال شاعر إيران المعاصر عمران صلاحي:

«آدم، به جرم خوردن گندم

با حوا

شد رانده از بهشت

اما چه غم

حوا، خودش، بهشت است»

(رستگارفسایی، ١٣٨٠، ص٦٦٨)

الترجمة: آدم، بجريرة أكلهِ الحَبَّ؛ مع حواء؛ أُخرِجَ من الجنة؛ لكن لِمَا الأَسىَ؛ حواء، هي نفسُها، جنة.

Downloaded from aijh.modares.ac.ir at 10:39 IRDT on Monday August 31st 2020

خلفية البحث

حظيت قصة شيخ صنعان بدراساتٍ مستقلة نذكر على سبيل المثال: ما ورد في كتاب منطق الطير عطار حول قصة شيخ صنعان من شرح وتعليق بقلم مصححين ومحققين عدة. كما أنّ جلال ستاري قد خصص كتاب (پژوهشي در قصه‌ي شيخ صنعان ودختر ترسا) لدراسة القصة. وكذا هومن يوسف‌دهى الذي قام بشرح القصة من الناحيه العرفانية في كتاب (حكايت عشق صنعان)، أما جلال الدين كزازي فقد فنَّد أبيات القصة معتمداً على نسخة صادق گوهرين تفنيداً لغوياً تاريخياً في كتاب (پارسا وترسا) وغيرها من الأبحاث.

أما قصة سلاَّمة القِس فلم تحظ بدراسة تفصيلية كما حظيت به قصة شيخ صنعان، فمن الأبحاث التي ذكرت القصة ما ذكره أحمد عبد الستار الجواري في كتابه (الحب العُذري نشأته وتطوره) حول القصة، أما عبد الحكيم الزبيدي فقد تناول القصة المسرحية لعلي أحمد باكثير في مقالته «علي أحمد باكثير: حياته من أدبه، رواية (سلاَّمة القس) نـــموذجاً» مجلة الرافد، وزارة الثقافة، الشارقة. هذا و لم تُشِر نتائج البحث إلى وجود دراسة مقارنة بين القصتين على الأقل في الوقت الحالي، لذا رأينا أنّ من الأحرى دراسة هاتين القصتين دراسة مقارنة لمضامين الحب العُذري فيهما.

تعاريف وأصول نظرية

تعددت التعاريف والأقوال حول ماهية الحب العُذري إلا أنّها تدور حول محورٍ واحد، فمنهم من يعتبره حباً بعيداً عن الفلسفة وتحليلاتها وتفاريعها ومراحلها إذ هو حياة كان يعيشها فئة من الناس يعشق الواحد منهم ابنة عمه غالباً أو غيرها، ثم يطلبها للزواج فيحال بينهما فيظل يتغنى بها في شعره ويحلم بها في وجدانه. (ابراهيم، ١٩٧٢، ص١٣٤)

ومنهم من قال أنّه عاطفة قوية مشبوبة، يهيم فيها المحب بحبيبته ويرجو الحظوة بوصالها ولكن تتضاءل لديه النظرة إلى المتع الحسية، إذ يطغى عليها حرص المحب على استدامة عاطفته فى ذاتها.(غنيمي هلال، ١٩٧٦، ص١٧)

أما علاقته بالحب الصوفي فإنّهم يشيرون إلى ذلك بقولهم: «ما الحب الصوفي إلا حُب عُذري تطور تحت تأثير عوامل دينية وفلسفية» (م.ن، ص٣٨) «فهو الذي أعدَّ فيما بعد لظهور الحب الصوفي» (ضيف،١٩٩٩، ص٢٣)

أمَّا بالنسبة لخصائصه الشعرية أو القصصية فقد تتفاوت ما بين مؤلف إلى آخر وذلك تبعاً لوجهة نظر كل منهم في الحب العذري. وقد اعتمدنا في كتابة خصائصه على عدد غير قليل من الكتب على سبيل المثال: كتاب الزهرة لإبن داود الإصفهاني، طوق الحمامة لابن حزم الأندلسي وروضه المحبين لابن قيِّم الجوزية ومن الكتب المعاصرة: كتاب الحب العذري نشأته وتطوره لأحمد عبد الستار الجواري، تطور الغزل بين الجاهلية والإسلام لشكري فيصل، الحياة العاطفية لمحمد غنيمي هلال وديوان مجنون ليلي لزكي درويش وغيرها. بحيث تعطي فكرة واضحة لدى القارئ عند التحليل.

خصائص الحب العذري

من خصائص الحب العذري أنه حب عفيف صادق لمحبوبة واحدة؛ فالمحب يُحب محبوبه لذاته، ليس لشيئٍ فيها؛ وينمو ذلك الحب بنمو العاشقين إلى أنّ يصل ذروته بمرور الزمان ويلعب السعي لكتمان الحب دوراً بالرغم من ظهوره على الملأ بسبب غلبته على صاحبه؛ أما السعي للزواج بالمحبوبة فهو من متطلبات هذا النوع من الحب مع وجود عوائق وموانع متعددة تحول دون الزواج بالمحبوبة، سواءً كانت عوامل خارجية مثل الفقر أو وقوع أحد الحبيبين في مشكلة، أو عوامل داخلية

Downloaded from aijh.modares.ac.ir at 10:39 IRDT on Monday August 31st 2020

مثل العفة أو المعتقدات الدينية أو العادات والأعراف الإجتماعية، فهي تحول دون الوصول للمحبوبة، نرى أنّ العاشق لا يألو جهداً في السعي لزيارة الحبيبة؛ بحيث لا تَقِلَ أهميةً عن طلب الوصال، أما تصوير حالة اليأس بسبب الفراق والهجران فلا تخلو منه القصة لإنّه من أسباب معاناة المحب؛ أيضاً طلب المساعدة من الرفقاء والأصحاب والأقرباء لمشاركته في محنته أو من أجل الحصول على أخبار المحبوب؛ وصول المحب في بعض الأحيان إلى مرحلة الجنون والسعي لمداواته من قبل الأقرباء؛ كما نراه يتعجب من الرقيب والواشي وكذا من العاذل واللائم والناصح المشفق وعدم الإقرار لهم بما يريدون؛ أحياناً نراه يُعلن الرضى بالقليل من المحبوب؛ وتَحمُّل المشقة، المعاناة، الرحيل والترحال من أجله؛ وفي نهاية المطاف، الوفاء والتضحية لمن يحب؛ بهذا يتجلى لنا الحب العذري العفيف الطاهر من خلال خصائصه التي يسلكها المحب في حبه. وهي إن لم تكن قريبة من مراحل السلوك عند العرفاء فهي بالتأكيد ليست بعيدة عنها مع اختلاف جوهرها.

خلاصة قصة شيخ صنعان

كان شيخ صنعان معتكفاً في الحرم المكي فرأى في منامه أنه في بلاد الروم ويسجد لِصَنم (فتاة جميلة). فقال لمريديه أنّه ينبغي عليه الذهاب إلى هناك ليعرف سِرَّ الرؤيا؛ فتبعه مريدوه إلى هناك، وبعد أنّ طافوا أرجاء البلاد، وقعت عين الشيخ على فتاة تُطِلُّ من إحدى الشرفات، رائعة الجمال، مسيحية الدين، فَشَغِفَ بها حبّاً، فلازم حيّها، واقفاً تحت شُرفتها، وكلّما مضى عليه الوقت إزداد ولهاً وهياماً، نصحه أصحابه أنّ يرجع معهم إلى مكة ليلزموا الحرم كما كانوا من قبل، فلم يُصغِ إلى نُصحهم فتركوه وذهبوا ولكنَّه لم يبرح مكانه.

انتبهت الفتاة إلى حاله ونصحته بالإنصراف، لأنّه مسلم وهي نصرانية، وهو شيخ كبير في السن مُشرِف على القبر وهي فتاة طرية العود، فأخذ يتضرع إليها ويَعرِضُ عليها حبه وعبوديته، فقالت له إن اردت وصالي، فاسجد للصَّنم واحرق القرآن واشرب الخمر واترك الإسلام. فقال الشيخ : لقد اخترت الخمر ولا شأن لي بالثلاث الباقيات. فأخذته إلى البيت فشرب وتناول كأساً بعد أخرى، فلما سَكِرَ حاول أنّ يُعانِقها، فقالت له: إذا أردت أن تكون من نصيبي فكن نصرانياً مثلي، فتنصَّر ورضي أنّ يُحرق القرآن فبلغ النصارى الخبر، فحملوه إلى الدير ولبس حزام الصليب (الزُّنار) فطالبها بالوصال فطالبته بالمهر والصداق فتعذر بالفقر والفاقة وقدَّم حبه شفيعاً وذكَّرها بوعدها إياه وطالبها الوفاء بالوعد فطلبت بديلاً لمهرها وصداقها أنّ يرعى الخنازير سنة كاملة، ففعل، فلما رأه أصحابه على هذه الحال، نصحوه ولاموه ولكن دون جدوى فلما يئسوا منه تركوه وعادوا إلى مكة.

كان للشيخ مريدٌ صالح غائب عن مكة حين غادرها الشيخ وأصحابه إلى بلاد الروم، فلما عاد إلى مكة وتفقد شيخه، أخبروه القصة، فتألم كثيراً ولامهم على تركهم إياه وعدم متابعتهم له، فأشار عليهم بالرجوع إلي بلاد الروم، فاعتكفوا أربعين ليلة بجوار الشيخ متوجهين بالدعاء والتضرع إلى الله لِيُخلِّص شيخهم من هذه المحنة، فاستجاب الله لدعائهم، ومع بزوغ فجر الحادي والأربعين جاء الرسول (ص) بالبشارة لذلك المريد في منامه بخَلاص الشيخ فبشَّر أصحابه، فذهبوا جميعاً إلى الشيخ، فرأوه قد خلع حزام الصليب (الزُّنار) وعاد إلي حظيرة الإسلام فأغتسل ولبس ردائه (خرقته) وعمامته وسار مع مريديه صوب الكعبة.

في تلك الليلة ترى الفتاة المسيحية في منامها أنّ الشمس قد هبطت بجوارها وتحدثت معها قائلة لها أنّ تلحق بالشيخ وتتبع دينه وتسلك طريقه. فلما استيقظت سارت في إثره. فألهم الله الشيخ بذلك. فرجع الشيخ أدراجه، فخشي مريدوه أنّ يكون قد نكص عن التوبة فحكى لهم حال

Downloaded from aijh.modares.ac.ir at 10:39 IRDT on Monday August 31st 2020

الفتاة فساروا معه إلى حيث هي، فرأوها تسحب نفسها على الأرض من شدة التعب، فلما رأت الشيخ أغمي عليها وانحدرت الدموع من عيني الشيخ متساقطة على وجهها علّها تَخرُجُ من حالة الإغماء، فلما فتحت عينيها انكبت على قدميه وطلبته أنّ يعرض عليها الإسلام، فعرضه عليها ودخلت في الإسلام.

(تختلف الرواية بعد هذه النقطة) ففريد الدين العطار وغيره من الأدباء يروون أنّ الفتاة بعد أنّ وقع الإيمان في قلبها، لم تستطع أنّ تتحمله فودعت شيخها وفارقت الحياة ودفنوها هناك وعاد الشيخ وأصحابه إلى مكة. لكن في رواية تحفة الملوك أنّ الفتاة بعد إسلامها ذهبت مع شيخ صنعان إلى الكعبة وانتهت القصة بزواجَهُما.

خلاصة قصة سلاَّمة القِس

كان عبدالرحمن ابن أبي عمَّار الناسك من القُرّاء ورواة الحديث الذين اشتهروا بالعبادة والزهد في العصر الأموي، ليس له شغلٌ سوى النُّسك والعبادة حتى لقَّبه الناس بالقِس. أمّا سلاَّمة فكانت مولَّدة من مولَّدات المدينة وبها نشأت وقرأت القرآن وروت الأشعار وهي قينة من قيان سهيل بن عبد الرحمن.

تصادف يوماً أنّ سمع القس غنائها فأظهر استحسانه وافتتانه به ورأه مولاها أمام داره وهو يرهف سمعه، فدعاه أنّ يدخل إليها فيسمع منها، غير أنه رفض مُظهراً تحرُّجه، فقال له: سأُقعِدُك في مكان تسمعها ولا تراها ولا تراك، فقال أما هذا فنعم، فأدخله داره وأجلسه حيث يسمع غنائها. فلما طال سماعه لها قال له: هل لك في أن أُخرجها إليك؟ فأبى. فلم يزل به حتى أخرجها، وأقعدها أمامه وهي تضرب على العود وتغني وسرعان ما فُتِنَ بِها وفُتِنَت به وشاع ذلك بين الناس حتى غلب عليها لقبه، فسموها سلاَّمة القس. إحتل حب سلاَّمة قلب القس وأخذ يستأثر بكل مشاعره وعواطفه، حتى حوله إلى شاعر غزل ينظم الشعر، فيُلقي ذلك الشعر على صاحبته فتغنيه وتُضفي على عذوبة شعره جمال صوتها.

تمر الأيام ويظهر الضمور والنحول على جسم القس لأنَّه لايحب حبّاً عاديّاً فيه فرح ومتاع وإنَّما يحب حباً عذرياً طاهراً كله حرمان وعناء ووجد. وكذا تمادت سلاَّمة في حب القس وكلما شعرت أنّها تقترب منه بعواطفها أحسّت به يبعدها عنه، وظلاً على هذه الحال يلتقيان ويتجاذبان أطراف الحديث وينظم القوافي لها وتغنيها. فتملكت عاطفة الحب على قلب سلاَّمة ومشاعرها وتمنت أنّ يضمها القس إلى صدره يوماً ولكنها كلما لقيته أكبرته وأجلّته وشعرت كأن حجاباً منيعاً يحجب بينهما.

وصل الحب ذروته فقالت له ذات ليلة: أنا والله أُحبك، فقال: وأنا والله أُحبك، فقالت: وأنا اشتهي أنّ أعانقك وأُقبِّلك، فقال: وأنا اشتهي مثل ذلك، فقالت: فما يمنعك وأنّ الموضع لخالٍ، فقال: يمنعني أنّ أنعَمَ بحبك في الدنيا وأشقى به في الآخرة فنغدو يوم القيامة من الأخلاء الأعداء الذين ذكرهم الله في قوله: «الأخلاء يومئذٍ بعضُهم لبعضٍ عدوٌّ إلا المتقين» (الزخرف، ٦٧) وأنا أكره أنّ تكون خلة ما بيني وبينك تؤول إلى عداوة. ثم قام وانصرف عنها. وعاد إلى ما كان عليه من النُّسك. أما سلاَّمة فتعود إلى المدينة وما لبثت أنّ اشتراها يزيد بن عبدالملك فرحلت إلى الشام وبها ماتت ودفنت. وتنتهي القصة بفراق الحبيبين.

من خلال الأحداث المتسلسله للقصتين قُمنا بعمل جدول توضيحي للتتابعات السردية تمهيداً لاستخراج مضامين الحب وتحليلها في ضوء خصائص الحب العُذري.

Downloaded from aijh.modares.ac.ir at 10:39 IRDT on Monday August 31st 2020

جدول مقارنة التتابعات السردية للقصتين

م	الموضوع	شيخ صنعان برواية فريد الدين العطار	سلاَّمة القس برواية أبي الفرج الإصفهاني
١	بداية الحب	عن طريق الرؤيا في المنام.	عن طريق سماع صوتها وهي تُغني.
٢	كيفية ظهور الحب وموقف الرفقاء	من أول نظرة للفتاة والبقاء أسفل شرفتها. الرفقاء هم طلابه فمنهم الناصح المشفق ومنهم اللآئم العاذل.	الوقوف بجانب مترلها والإستماع لغنائها. مولى سلاَّمة وهو ناصحٌ مساعدٌ له.
٣	أول لقاء بالحبيبة وطلب الزواج	تفزع الفتاة من صراحة الشيخ بحبه لها وتنهره فَيُظْهِر الشيخ رغبته في الزواج منها فتخبره بعدم امكانية ذلك لعدة أسباب.	كلٌ يبدي استحسانه واستئناسه بالآخر. ولكنَّ القصة لم تذكر أنه طلبها للزواج أو عدم امكانية ذلك.
٤	عوائق خارجية	فارق السن: هو شيخ كبير في السن جاوز الخمسين وهي مازالت صغيرة. فارق إجتماعي ومذهبي: هو شيخ طريقة عربي مسلم وهي راهبة رومية مسيحية. فارق مادي: هو فقير متقشف وهي ميسورة الحال كونها تملك مزرعة خنازير.	هو أكبر منها سنَّاً وهي مازالت في ريعان شبابها. هو زاهد ناسك غلب عليه لقب القس لتعبده وهي جارية مغنية. لم يكن غنياً ولم تشر القصة إلى أنه فقير وإنما اشارت إلى قوة زهده وخوفه من الله.
٥	عوائق داخلية	الحالة الفكرية والنفسية: هو عاشق مُتَيَّم يُريد الوصال كيفما اتفق،و هي غير آبهةٍ به، فالحب هنا من طرفٍ واحد.	حبه لها حب استحسان وتأمل وعفاف، وحبها له حب حسي يشوبه نزوات نفسية.
٦	موانع الزواج	وضع الشروط الثلاثة للخلاص منه.	الفارق الإجتماعي والفكري (فهي جارية مغنية ذات طرب ووله، وهو حرٌ زاهد ذا تقوى وزهد)
٧	لقائات متكررة	يجلس الشيخ مع الفتاة ويمد يده لمعانقتها في حال سكره فتنهره، فيتنصَّر، فتطلب المهر، فيرعى لها الخنازير بديلا عنه.	تتعلق سلاَّمة بالقس ويُذاع خبرهما فيغلب عليها لقبه. يجلس إليها ويستمع غنائها ويأتيها بالأشعار فتغنيها.
٨	لقاء أخير	يمل الشيخ من رعي الخنازير ودلال الفتاة فيتركها دون أنّ تعرف.	يشتد حب سلاَّمة للقس فتطلب منه معانقتها فيرفض ويتركها.
٩	حب أبدي أم عابر (المجاز قنطرة الحقيقة)	يتوب شيخ صنعان عن حب الفتاة ويرحل عائداً مع أصحابه إلى مكة. أمَّا الفتاة فتحاول اللحاق به.	ينصرف عبد الرحمن الناسك عن حب سلاَّمة بسبب خوفه من الله ويعود إلى خلوته حاملاً زهده وعفافه
١٠	نهاية القصة	يعود الشيخ من منتصف الطريق مستجيباً لنداء القلب ليلقى الفتاة ولكن الراوي يُنهي القصة هنا بموت الفتاة وعودة الشيخ وحيداً مع أصحابه إلى مكة.	تنتهي القصة بفراق الحبيبين وتغادر سلاَّمة إلى المدينة ومن ثم إلى دمشق.

دراسة مقارنة لمضامين الحب في القصتين

كما لاحظنا أنّ أحداث قصة شيخ صنعان قد دارت في العصر العباسي، وأنّ اسمه هو عبدالرزاق بن همام الصنعاني الأبناوي وعشيقته هي فتاة راهبة مسيحية رومية[1]. نشأ شيخ صنعان فقيهاً عالماً وراوية للحديث في اليمن ومكة، أمَّا الفتاة الرومية فقد نشأت راهبة زاهدة في إحدى الكنائس في بلاد الروم. لذا فأنّ المكان الجغرافي للقصة قد شَمِلَ أرض الحجاز «الكعبة» إلى أنّ وصل أرض الروم

Downloaded from aijh.modares.ac.ir at 10:39 IRDT on Monday August 31st 2020

«الدير والكنيسة». كذلك بالنسبة لقصة سلاَّمة القس فقد لاحظنا أنّ القصة حدثت في العصر الأموي وأنّ اسمه عبد الرحمن ابن أبي عمار الجشمي الناسك المشهور بالقس وعشيقته هي سلاَّمة المغنية وقال بعضهم أنّها هي سلاَّمة الزرقاء (ابن-الجوزى، ١٩٩١، ص٤١) وهذا غير راجح[٢]. نشأ كلا العاشقين في مكة والمدينة إلا أنّ سلاَّمة تسافر إلى الشام وتُدفن هناك. لذا فأنّ المكان الجغرافي للقصة لم يتعدى مكة.

و عليه فأنّ شخصيات القصتين على الأقل ثلاث منها تاريخية. وللقيام بتحليل مقارن لجدول التتابعات السردية وتجزئة مضامين الحب المستخرجة منه يتطلب الإلتزام بالعناوين التالية:

١. بداية الحب: تبدأ قصة حب شيخ صنعان عن طريق الرؤيا في المنام بشكل متكرر لفتاة في الروم وهو ما تمتاز به قصص الحب في الأدب الغنائي والعرفاني خاصة، فإذا لم تبدأ قصة الحب بالرؤيا فأنّها موجودة في إطار القصة لما لتعبير الرؤيا والأحلام من منزلة كبيرة لدى العرفاء والمتصوفة، لذلك نجد شيخ صنعان مليئاً بالأسى والتعجب وهو يصف هذه الرؤيا بالعقبة:

چون بديد اين خواب، بيدار جهان
گفت: «دردا ودريغـــا اين زمان،
يوســـف تـــوفـــيـــق در چـــاه افتـــاد
عـــقـــبه‌اى دشـــوار در راه افـــتاد
من ندانم تا از اين غـــم جـــان برم
ترك جان گفتم، اگـــر ايمان برم»
(عطار، ١٣٨٧، ١٢٨)

أمَّا قصة حب عبد الرحمن الناسك فتبدأ عن طريق السماع لصوت المحبوب واستحسانه له. فالسماع له مكانة خاصة سواءً عند العرفاء والزهاد أو الشعراء والأدباء، وما يهمنا هنا هو الشعراء لأنّ السماع عند العرفاء له حالات ومراتب بعكس الشعراء وما أعنيه هنا هو قول الشاعر بشار بن برد (٩٦- ١٦٨هـ.ق):

ياقوم أذني لبعض الحي عاشقةً
و الأذن تعشق قبل العين أحيانا
(اصفهانى،ج٦، ص٢٤٢)

فالحب عن طريق السماع لصوت المحبوب أو وصفه معروف في كلى الأدبين فقصة خسرو وشيرين أو گل ونوروز كانت بدايتها عن طريق سماع وصف المحبوب. كذا في الأدب العربي، فقصة حب يزيد لحبابة أو لأُرينب (راجع: ابن قتيبة، ٢٠٠٩، ج١، ص٢٤٠) كانت كذلك. إلا أنّ معظم قصص الحب المشهورة في الأدب العربي تبدأ بنظرة أو لقاء المحبوب والتحدث إليه لما له من أثرٍ في النفس. فبداية الحب هنا هو تجلي الجمال الظاهري سواءً في الرؤيا أو السماع بالنسبة لكلى العاشقين باعتبار أنّ عبد الرزاق بن همام شيخ عارف وعبد الرحمن ابنّ أبي عمَّار زاهد ناسك. المضمون الذي يمكن ملاحظته هو أنّ الحب هنا حب تعجب وتأمل مُحاط بالعفة لا تخالطه شهوة عابرة.

٢. إفشاء السِّر وموقف الرفقاء: رأينا في كلى القصتين أنّ كلى العاشقين شيخ صنعان وعبدالرحمن الناسك قد وقف أمام دار الحبيبة فالأول يقف تحت شُرفتها بانتظار التفاتة أو نظرة منها والآخر يقف مستمعاً منصتاً لصوتها وهي تغني. بهذا الموقف ظهرت علائم الحب وشاع أمره بين الناس. نُلاحظ هنا فارقاً في ردة الفعل لدى أصحاب شيخ صنعان المتمثلين في مريديه فهم تارةً ينصحونه وتارةً يلومونه على فعلته هذه، لذلك نجده يدافع عن موقفه هذا كمايلي:

آن دگر گفـــتا كـــه اى داناى راز
خيز، خود را جـــمع كن اندر نمـــاز

Downloaded from aijh.modares.ac.ir at 10:39 IRDT on Monday August 31st 2020

گفت: کـــو محـــرابِ رویِ آن نگـــار؟
تا نبـــاشـــد جـــز نمـــازم هـــیـــچ کـــار..
آن دگـــر گفـــتـــا: پشـــیـــمانیْت نیست؟
یك نَفَس ، دردِ مسلمـــانیت نیست؟
گـــفت: کس نبود پشیمـــان بیش از ین
تـــا چـــرا عـــاشـــق نبودم پیش از ین..
آن دگـــر گفـــتـــش: کـــه یاران قـــدیم
از تو رنجـــورند ومـــانده دل دو نیم.
گفت: چـــون ترسابچه خـــوشدل بود
دل ز رنـــج ایـــن و آن غـــافـــل بـــود..
آن دگـــر گفت: این زمان کن عزم راه
در حرم بـــنشین وعذر خود بخـــواه
گـــفـــت: ســـر بر آستـــان آن نگـــار
عذرخواهم خواست، دست از من بدار
(عطار، ١٣٨٧، ١٣١)

أما أصحاب عبدالرحمن الناسك المتمثلين في مولى سلاَّمة فإنه يتودد إليه ويساعده على لقائها. وكما رأينا أنّ عبد الرحمن الناسك قد حاول أنّ يُخفي حبه وإعجابه بسلاَّمة لمن أراد مساعدته وأظهر حَرجه وتعلله من الدخول لسماعها وهي تغني، على عكس شيخ صنعان الذي لم يأل جُهداً في كتمان حبه بل قال لأصحابه بصراحة أنّه وقع في حب الفتاة وإنه لا فائدة من لومه. هذا ليس بغريب، فالمحب في الرواية الفارسية لا يحاول كتمان حبه إلا ما نزر بل على العكس يسعى للفت الأنظار إليه وعدم الإهتمام بما سيقوله الآخرين. فهذه الخاصية نلمسها في معظم قصص الحب الفارسية من عدم الإهتمام بكتمان سِّر الحب مثل قصة سياوش وسودابه، شيرين وخسرو، ويس ورامين وغيرها. المضمون الذي يمكن ملاحظته هنا هو ذيوع الحب برغم سعي الناسك لكتمانه إلاّ أن الشيخ يقوم بإبرازه.

٣. أول لقاء بالحبيبة وطلب الزواج: ظل شيخ صنعان يصور حالة اليأس بسبب الفراق والهجران وما أن التقى بالفتاة حتى صارحها بحبه ورغبته بالزواج منها وهذا من متطلبات الحب العذري وليس كما يزعم بعض المحققين من أنّ الحب العذري ضد فكرة الزواج (راجع: العظم، ص٧٠؛ لبيب، ص١٤٤) أما الناسك فإننا نراه يستسلم لعاطفة الحب من أول لقاء ويعترف بقوة هذه العاطفة وسيطرتها عليه حين يقول:

قد كنت أعذل في السفـــاهة أهلهـــا
فـــأعـــجـــب لمـــا تأتـــي به الأيام
فـــاليـــوم أعـــذرهم وأعلـــم أنمـــا
ســـبل الضـــلالة والـــهدى أقسام
(الإصفهاني، ج٨، ص ٣٣٦؛ الجواری، ص١٠٩)

هذا الوله الذى صنفه في قائمة السفاهة ليس ببعيد عمَّا صوره شيخ صنعان في أنّ تلك الرؤيا عقبة ومشكلة. مع ذلك فقد اكتفى الناسك بزيارة المحبوبة ومجالستها ولم تذكر القصة أنّه طلبها للزواج ولم تشر إلى محاولته شرائها من مولاها. ربما أنّ قربه منها واستئناسه بها أنساه أن يطلبها من مولاها، كما هي الحال بالنسبة للعشُّاق العذريين فهم لا يسعون للزاوج في بداية الأمر من المحبوبة إلا إذا شعروا بوجود رقيب أو بخطرٍ يهدد حبهم أما شيخ صنعان فأننا نجده يطلب الوصال في حواره مع الفتاة:

شـــيخ گـــفتـــش: چـــون زبـــونم ديدهاي
لاجـــــرم دزديـــده دل دزديـــدهای
يـــا دلـــم دِه بـــاز، يـــا با مـــــن بـــســـاز
در نيـــاز مـــن نگـــر چـــندين مـــناز،
ای لـــب وزلـــفت زيان وســـودِ مـــن
روی وكويت مقصد وبهبودِ مـــن..
روزگـــــار مـــــن بشـــــد در انـــتـــظـــار
گـــر بُـــوَد وصـــلی بـــباید روزگـــار..

Downloaded from aijh.modares.ac.ir at 10:39 IRDT on Monday August 31st 2020

چـــند نـــالـــم بـــر درت، در بـــاز كـــــن
يك دمـــم با خـــويشتن دمساز كن..
(عطار، ١٣٨٧، ١٣٢)

المضمون الذي يمكن ملاحظته هنا هو سعي الناسك للقاء المحبوبة وتطوره إلى طلب الوصال مع تصوير حالة اليأس بسبب الفراق والهجران لدى شيخ صنعان لِمَا وَجَدَ من إعراض الفتاة عن حبه.

٤. عوائق خارجية: فارق السن: لا يقل عمر شيخ صنعان أثناء حدوث القصة عن خمسين عاماً برواية العطار، كذلك بالنسبة لعبدالرحمن الناسك إذا نظرنا لتاريخ وفاته ووفات سلاَّمة، فقد كانا كبيرين في السن، ومعشوقتيهما مازالتا صغيرتي السن وقد رأينا كيف ارتعبت وتفاجئت الفتاة الرومية من مصارحته لها بحبه وكيف أنّها صدته بقولها:

دخترش گفت: ای خَرِف از روزگـــار
سازِ كافور وكفن كن، شرم دار
چون دمت سرد است، دمسازی مكن
پير گشتی قصدِ دلبـــازی مكـــن
اين زمـــان عـــزمِ كفـــن كـــــردن تو را
بهـــترت آيـــد كه عزمِ من تو را
(عطار،١٣٨٧، ١٣٣)

أمّا سلاَّمة فقد رحَّبت واستحسنت محبوبها، السبب في ذلك يعود إلى الظروف المناسبة وكذا إلى من ساعده على لقائها وهو مولاها، ثانياً إعتدال الناسك في مقابلتها وعدم اندفاعه إليها ناهيك عن كونها سمعت عنه مسبقاً بحكم الجوار، لذا فإننا نرى استئناسها به ينعكس على حبه واشتياقه لها إلى درجة أنّه يتمنى أنّ يبقى بجوارها كلَّما صدحت بصوتها:

ألا ليت أنِّي حيث صار بها النوي
جليساً لسلمى حينما عـــج مِزْهَرُ
و إنِّي إذا ما الموت زال بنفسهـــا
يزال بنفسي قبلهـــا حيـــن تُقْـــبَرُ
(الإصفهاني، ج٨، ص٣٣٥ ؛ الجواري، ص١١٠)

بعكس شيخ صنعان الذي أقحم نفسه و لم يجد عوناً أو سنداً يساعده في الوصول إليها كما أنّها لا تعرفه و لم تراه من قبل. ثالثاً أنه طلبها للزواج بشكل مفاجئ دون زياراتٍ متكررة تُمهد له هذا الطلب. أما بالنسبة للفارق الإجتماعي: فشيخ صنعان فقيه زاهد يسكن مكة ذو ثقافة عربية إسلامية وهي راهبة متبتلة تسكن ديراً في بلاد الروم، ذات ثقافة رومية مسيحية؛ إلا أنّ الحب قد يُلغي ويتغلب على هذا الفارق الإجتماعي والجغرافي ولكن يبقى الفارق المادي: فالفقر آفة قلَّما يتغلب عليه الحب. هذا الفارق الإجتماعي والمادي يكاد أن يكون غير ملموس في قصة سلاَّمة القس لولا فارق الطبقة الإجتماعية بين سلاَّمة وعبد الرحمن الناسك. فكلا القصتين متشابهتان في هاتين النقطتين أيضاً. المضمون الذي يمكن ملاحظته هنا هو ظهور عوامل وعوائق خارجية تحول دون الوصال بين العاشقين، أبرزها فارق السن ثم الفقر ونهايةً الفارق الطبقي والإجتماعي.

٥. عوائق داخلية: تلعب الحالة النفسية والفكرية والثقافية دوراً بارزاً في نفسية المحب فكما لاحظنا أنّ شيخ صنعان عاشق مُتيَّم بكل ما تعنيه الكلمة ويسعى لوصال محبوبته بأي طريقةٍ كانت وكيفما اتفق، برغم أنّ الفتاة لم تأبه به مع التزامها بالعفة، فحبه من طرف واحد وهذا أشد أنواع الحب قسوة، أنّ تحب شخصاً لايحبك وأنّ تفكر في شخص لا يفكر فيك. بعكس عبد الرحمن الناسك فحبه منذ البداية حب استحسان وتأمل وعفاف غلب عليه الوجد والحرمان. لذا فهو يُصوِّر لنا كيف أنّ محبوبته صادته بصوتها على الرغم من عبادته وزهده:

أنّ التي طَـــرقـــتـــك بـــين ركـــائبٍ
تـــمشي بِمـــزْهَـــرِهـــا وأنت حـــرامُ

Downloaded from aijh.modares.ac.ir at 10:39 IRDT on Monday August 31st 2020

لِتَـــصيـــدَ قلبـــك أو جـــزاء مـــودةٍ

أنّ الـــرفـــيـــقَ لـــهُ عـــلـــيـــكَ ذِمَامُ

(الإصفهاني، ج٨، ص٣٣٥ ؛ الجواري، ص١١٠)

كما بادلته سلاَّمة نفس المشاعر – وربما أكثر – فحبها له غلب عليه الطابع الحسي وهذا ما تُظْهِره نهاية القصة، فهو يحبها في الله وهي تحبه لنفسها. نلاحظ هنا أنّ بطل رواية العطار يحب من جانب واحد وهو ما تميزت به معظم قصص الحب في الأدب الفارسي مع مراعاة درجة الحب لدى الطرفين مثل خسرو وشيرين، فرهاد وشيرين، گل ونوروز، سياوش وسودابه وغيرها. هذا النوع من الحب لم يلق رواجاً في القصة العربية مثل قصة يزيد وأُرينب بنت اسحاق (راجع: ابن قتيبه، ٢٠٠٩، ج١، ص٢٤٠) أو ابن حزم والجارية (راجع: ابن حزم، ١٩٩٣، ص٢٤٩). المضمون الذي يمكن ملاحظته هنا هو أنّ العفة والصدق في الحب العفيف يمكن أنّ تكون ضمن العوائق الداخلية التي تُميِّز وتُمحِّص المحب الصادق من المحب الواله.

٦. موانع الزواج: ساعدت العوائق الخارجية والداخلية على ظهور موانع الزواج. هذه العوائق مُتَمثِّلة في الشروط التي وضعتها الفتاة المسيحية لمعرفة مدى حب هذا العاشق وكذلك للخلاص منه. إنّ موانع الزواج في حقيقة الأمر هنا، تعود إلي كِبَر السِّن والفقر، أمَّا غير ذلك فيمكن تجاوزه، لذلك لجأت الفتاة إلى وضع هذه الشروط في المرحلة الأولى لنجدها تطورت في المرحلة التالية إلى طلب المهر مع علمها بأنّه فقير. فهنا نرى أنّ الفتاة هي المانع لهذا الزواج والشروط الثلاثة ما هي إلا ذريعة لإخفاء السبب الأصلي وهو فارق السن والفقر. وربما تكون هذه الشروط من نسج خيال الرواة. أما عبد الرحمن الناسك فكان الفارق الإجتماعي والفكري حائلاً دون الزواج فهو عاشق زاهد لم يصل إلى درجة الجنون التي وصل إليها شيخ صنعان، لذلك نراه يضع لنفسه حاجزاً يحول دون التفكير في التمتع بالمحبوب. فالمضمون الذي يمكن ملاحظته هنا هو وجود عوامل خارجية بالنسبة لشيخ صنعان مُتمثِّلة في الفقر والشيخوخة، وداخلية بالنسبة للناسك مُتمثِّلة في العفة.

٧. لقائات متكررة: نجد هنا أنّ شيخ صنعان قد وصل إلى درجة الجنون حيث قام بترك الإسلام والدخول في دين المسيح وتنفيذ كل طلبات الفتاة طامعاً في وصالها – فتلبية رغبات المحبوب من علامات الحب الصادق كما يرويها مؤلفو كتب الحب – وهذا ما لاحظناه في القصة من خلال شغفه وولهه وعفة الفتاة معه. وما الشروط التي وضعتها الفتاة للحيلولة دون الزواج إلا ذريعة للخلاص من هذا العاشق الذي بلغت به الجرأة أنّ يعشق من ليست بمستواه من شتى النواحي، فلم يكن يملك سوى قلبه العاشق. لذلك فقد عايش الحرمان في هذه الفترة على الرغم من اللقائات المتكررة. نجد ذلك في قوله:

اين همه خـــود رفـــت، بر گوى اندكى

تا تو كى خواهى شدن با من يكى

چـــون بنايى وصـــلِ تو بـــر اصـــل بود

هـــر چـــه كـــردم بر امـــيدِ وصل بود

وصـــل خـــــواهـــم وآشـــــنايـــى يافتن

چـــنـــد سوزم در جـــدايـــى يافـــتـــن

(عطار، ١٣٨٧، ١٣٦)

أمَّا الناسك فقد تعلق بسلاَّمة كما تعلقت به وصقل حبه لها مواهبه فصنع منه شاعراً عذب اللسان، فعاشا أياماً جميلة يكتب لها الأشعار وتغنيها، كأنّما يتعانق العاشقان بالإلفاظ والكلمات حين يتغزل القس وتغني سلاَّمة:

أهابُكِ أنّ أقـــولَ بَذلتُ نفسي

و لو أنـــي أطيعُ القلبَ قـــالا

حياءً مِنك حتـــى سُلَّ جسمي

و شقَّ عليَّ كتمانـــي وطالا

(اصفهاني، ج٨، ص٣٣٥)

Downloaded from aijh.modares.ac.ir at 10:39 IRDT on Monday August 31st 2020

بالرغم من هذا الفارق في اللقائات المتكررة إلا أنّ النجوى الصادقة لم تَخلُ من قلبيهما، فالفتاة الرومية كانت تواسيه وتُمَنِّيه في لقائاته معها كما يبثها شكواه وحبه وحنينه إليها. فالمضمون الذي يمكن ملاحظته هنا هو العفة والصدق في الحب مع النجوى الصادقة في كلى القصتين إضافةً إلى تحمل المشقة والمعاناة عند شيخ صنعان.

٨. اللقاء الأخير: يَمِلُّ شيخ صنعان ويتعب من دلال الفتاة وغُنجِها وكذلك رعي الخنازير الذي لا طائل منه فالفترة الزمنية التي عاشها معها هي فترة حرمان ويأس لذا نراه هنا لا يذهب ليودع الحبيبة بل يتركها دون علمها ويرحل. بعكس سلاَّمة التي تصور حالة اليأس والحرمان من حبيبها حتى اشتد حبها ووصل ذروته وتمنت أنّ تعانقه إلا أنه يرفض ويتمنى لقائها في الآخرة ثم يودعها ويرحل عنها، كما نجده هنا يخاطب نفسه بقوله:

ألا قُــل لهــذا القلب هــل انت مُبْصِرُ

و هل أنت عن سلاَّمةَ اليومَ مُقْصِرُ

(م.ن، ج٨، ص٣٣٦)

المضمون الذي يمكن ملاحظته هنا هو تصوير حالة اليأس والحرمان مع نمو الحب ووصوله إلى ذروته لدى سلاَّمة والتَّمسُّك بالعفة لدى القس، أما اليأس والحرمان فكانا من نصيب شيخ صنعان في هذا اللقاء.

٩. حب أبدي أم حب عابر: بحسب المقولة الشهيرة المجاز قنطرة الحقيقة (لاهيجى، ١٣٨٥، ص٤١٠). فكلى العاشقين في هذه المرحلة يُبدي انصرافه من هذا الحب ويؤْثِر ما كان عليه من قبل، برغم وجود الإختلاف في طريقة ذلك الإنصراف. فشيخ صنعان يتوب عن حب الفتاة ويرحل مع أصحابه عائداً إلى مكة بسبب يأسه من الفتاة ودلالها. أمَّا عبد الرحمن الناسك فقد انصرف عن حب سلاَّمة – التى ظنته هاوياً بسبب تأثير الحياة الإجتماعية في المدينة بما فيها أشعار عمر ابن أبي ربيعة السائدة على الجو العام في ذلك الوقت – وآثر الزهد والخوف من الله والرجاء طمعاً في الأخرة على متاع الدنيا وملذاتها، وذلك كما جاء في نهاية القصة حين عاتب محبوبته في شعره يعاتب لأنّها لم تدرك حبه لها في قوله:

باتــَتْ تُعلِّلنـــــا وتحسبُ أننا

فـــي ذاك أيقـــاظٌ ونحن نيامُ

حتى اذا سطـــع الصباحُ لنـــاظرٍ

فـــإذا وذلك بيننـــا أحـــلامُ

(م.ن، ج٨، ص٣٣٦)

فالمضمون الذي يمكن ملاحظته هنا هو معاتبة المحبوب بالإضافة إلى العفة والرضا بالقليل منه لدى عبد الرحمن الناسك والإبتعاد عن المحبوب كَرَدِ فعلٍ لما يقوم به من جفاء لدى شيخ صنعان.

١٠. نهاية القصة: نرى أنّ شيخ صنعان قد عاد من منتصف الطريق مستجيباً لنداء قلبه ليلقى محبوبته وهذا في حد ذاته دليلٌ على استمرار ونمو الحب ووصوله إلى ذروته عند العشَّاق العذريين، وهناك شواهد من هذا القبيل في قصصهم لامجال لذكرها هنا، أمَّا العرفاء فيفسرون عودة الشيخ بالإلهام الغيبي الذي يطرأ على المحب العارف بالله. هنا تنتهي القصتان بفراق الحبيبين فالفتاة تموت ويعود الشيخ العاشق إلى دياره وحيداً مع أصحابه. كذلك غادرت سلاَّمة وحيدة برفقة مولاها إلى المدينة. فالبرغم من وصول الحب إلى ذروته بالنسبة للفتاة وشيخ صنعان إلا أنّ المضمون الذي يمكن ملاحظته هنا كما هو السائد لدى العشَّاق العذريين هو أنّ الفراق والهجران من نصيب العاشقين لعل اللقاء يكون في الآخرة وهو ما يُفهم من نهاية حياة الفتاة الرومية، أيضاً كما صرَّح به عبدالرحمن الناسك عند فراقه لسلاَّمة.

Downloaded from aijh.modares.ac.ir at 10:39 IRDT on Monday August 31st 2020

نرى أنّ المضمون العام للقصتين هو الحب العفيف الطاهر الذي يستأنس به المحب عند القرب من المحبوب فالمضمون في قصة شيخ صنعان هو أنّ النساء مغريات ومغويات ولكن تَحَوَّلَ هذا المضمون عند فريد الدين العطار إلى أنّ حب النساء هو حب مجازي وأنّ المرأة عبارة عن ابتلاء للمحب العارف والزاهد العابد وأنّه لا يَعبُر إلى الحقيقة إلا بعد أنّ يَمُر من بوابة المجاز، فالمجاز قنطرة الحقيقة. كذلك بالنسبة لعبد الرحمن الناسك، إلا أنّ الرواة لم يركزوا على هذه النقطة بل كان أكثر تركيزهم على الحب العفيف الطاهر واللقائات التي جمعت بين الحبيبين وعلى قوة الإرادة والزهد عند عبد الرحمن الناسك. إضافةً إلى أنّ الزهد والعفة لهما الغلبة على الحب الحسي مهما كانت مغرياته، فالحب العذري أسمى وأرقى من المغريات الجنسية حتى ولو كان الفراق والهجران نصيب العاشقين.

نتيجة البحث

تمتاز معظم قصص الحب في الأدب الغنائي الفارسي ببداية الحب فيها عن طريق سماع وصف المحبوبة على الأغلب، بعكس ما تمتاز به قصص الحب في الأدب العربي حيث يبدء الحب فيها عن طريق نظرة أو لقاء المحبوب والتحدث إليه.

أمَّا بالنسبة لإفشاء سِرِّ الحب فلا أهمية له في القصة الإيرانية لأنّ العاشق لا يجد حرجاً في إفشاء حبه وقد تجلى هذا المضمون بشكل واضح في هذه القصة فالعاشق هو الذي سعى لإبراز حبه، وذلك بعكس القصة العربية التي حاول فيها المحب أنّ يكتم حبه وقد رأيناه يتحرج من إفشائه.

من الإختلافات التي شاهدناها في القصتين هي أنّ المانع للوصال في قصه شيخ صنعان هي الفتاة الرومية بعكس قصة سلاّمة القس التي كان المانع فيها هو عبدالرحمن القس نفسه — يذكرنا هذا أيضاً بموقف شيرين من خسرو فقد كانت هي أيضاً المانع للوصال غير الرسمي — لذلك تتجلى هنا خاصية من خصائص الحب العذري، هي العفة وعدم تدنيس الحب، على الرغم من التباين في الهدف من القصتين.

لقد استخدم العطار الحب العذري من أجل تبيين الحب الإلهي وهو ماقصد به «المجاز قنطرة الحقيقة» لأنّ الحب العذري فيه يأس وحرمان يجعل صاحبه يكتوى بنار الفراق والهجران مما يقوده إلى النحول والهذيان وقد يتطور في بعض الأحيان إلى الجنون كما حدث لشيخ صنعان ومن قبله مجنون ليلى.

لاحظنا أنّ العاشق في القصة الإيرانية هو الذي سعى إلى الوصال كيفما كان، بعكس القصة العربية التي حاولت المعشوقة فيها الوصال كيفما اتفق. هذا يدل على عفة المحب أكثر من المحبوبة في القصة العربية والعكس صحيح بالنسبة للقصة الإيرانية مما نستنتج من خلاله مكانة المرأة ونوع الحياة الإجتماعية في ذلك الوقت وهذا لا ينطبق بالتأكيد على بقية قصص الحب الأخرى.

أخيراً نجد أنّ حب العارف كان جنوناً بمعنى الكلمة بعكس عشق الزاهد الذي كان ملتزماً في حبه غير شارد عن طريقته، فدلالة عنوان المقالة جائت منسجمة مع مضمون القصتين، السبب في ذلك يرجع إلى اعتدال الزاهد في حبه وجنون الشيخ بخروجه عن نطاق الإسلام بسبب حبه.

أمَّا بالنسبة للهدف السردى من القصتين فإننا نجده متبايناً نسبياً فقصة شيخ صنعان ذات عبرة وعظة لمن هم في مرتبة المريد السالك في التصوف والعرفان موضحةً علاقة الشيخ بمريديه فهدف القصة رمزي عرفاني، أمّا قصة سلاّمة القس فعلى الرغم من كونها وعظية إرشادية، إلا أنّ هدفها هو تبيين عفة الحب العذري الذى يقوم على أساس حب المحبوبة لذاتها وليس لحاجة يقضيها منها، كذا يظهر مدى التأثير الدينى على معتنقه وأنّ الزهد والخوف من الله يجعل المتمسك به بعيداً عن

Downloaded from aijh.modares.ac.ir at 10:39 IRDT on Monday August 31st 2020

ارتكاب المحرمات مهما كانت متوفرة، و هي تُذكرَنا أيضاً بقصة يوسف وزليخا مما لا يدع مجالاً للشك بين العلاقة القائمة بين الحب العذري والحب الصوفي.

نرى أنّ التتابعات السردية للقصتين تدل على الحالة الإجتماعية التى كانت سائدة في ذلك الوقت، لذلك نجد نمو الحب الإلهي عند الفرس بمختلف طبقاتهم. وهو ما نراه اليوم من وجود نوعين من الحب لا ثالث لهما مع وجود الحب العفيف ضمن هذين النوعين وعدم الإهتمام به لإنشغالهم بالحب الإلهي عن تقسيم الحب المجازي إلى حسي (ماجن) وغير حسي (عفيف)، بينما نجد الحب العذري مواصلاً نموه جنباً إلى جنب مع الحب الإلهي وربما أكثر لرواجه لدى مختلف أطياف المجتمع العربي لما ميَّزوه عن الحب الحسي الماجن.

الهوامش

١. توفى شيخ صنعان عام ٢١١ هـ.ق (المقحفي، ج١، ص١٨)، أما الفتاة الرومية فقد رحلت إلى الدار الآخرة برواية فريد الدين العطار قبل شيخ صنعان.

٢. حاولنا التحقق من تاريخ وفاتهما فلم نقف على شيئ واضح جلي يمكن الإستناد عليه وقد رجحنا من التواريخ المنقولة في نسخ إلكترونية بالإعتماد على الأحداث التاريخية للقصة أنّ وفات الناسك حوالي ٨٣ هـ.ق وسلاَّمة المغنية حوالي١٣٠ هـ.ق. (راجع: موسوعه الشعر العربى، ٢٠٠٩، قسم الشعراء، ذيل: سلاَّمة القِس) أي بعد وفاة يزيد بن عبدالملك بخمسة وعشرين عاماً بعد أنّ ظلَّت تندبه في أشعارها.

فهرس المصادر والمراجع

[١] القرآن الكريم.

[٢] إبراهيم، عبدالحميد: قصص العشاق النثرية في العصر الأموي، القاهرة، ١٩٧٢م.

[٣] ابن الجوزى، أبوالفرج: أخبار النساء، تحقيق إيهاب كريم، دار النديم، بيروت، ١٩٩١م.

[٤] ابن حزم الأندلسي: طوق الحمامة، تحقيق إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٩٣م.

[٥] ابن قتيبة، عبدالله بن مسلم: عيون الأخبار ، ج٤، ط٢، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٩٦م.

[٦] ـــــــ، الإمامة والسياسة، عبدالجبار ناجي، مكتبة مجلس الشورى الإسلامي، طهران، ٢٠٠٩م.

[٧] الإصفهاني، أبو الفرج: الأغاني، ج٦، دار الكتب المصرية، القاهرة،١٩٣٥م.

[٨] ـــــــ، الأغاني، ج٨، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٣٥ م.

[٩] ستاري، جلال: پژوهشی در قصه‌ی شیخ صنعان ودختر ترسا (بحث حول قصة شيخ صنعان و الفتاه المسيحية)، ط٤، نشر مركز، طهران، ١٣٨٧ هـ.ش.

[١٠] الجواري، أحمد عبدالستار: الحب العذري نشأته وتطوره، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠٠٦م.

[١١] دانش پژوه، محمد تقى: تحفه الملوك إمام ابوحامد غزالى، مجله كلية الآداب بمشهد، العدد ٢و٣، السنة الأولى، ١٣٤٤ هـ.ش.

[١٢] رستگار فسايى، منصور: انواع شعر فارسى، انتشارات نويد، شيراز، ١٣٨٠ هـ.ش.

[١٣] ضيف، شوقي: الحب العذري عند العرب، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ١٩٩٩م.

[١٤] عطار نيشابورى، فريد الدين: منطق الطير، بإشراف سيد صادق گوهرين، ط٢٣، علمى وفرهنگى، طهران، ١٣٨٥هـ.ق.

Downloaded from aijh.modares.ac.ir at 10:39 IRDT on Monday August 31st 2020

[١٥] ـــــــ، تصحيح شفيعي كدكني، ط٤، انتشارات سخن، طهران، ١٣٨٧ هـ.ق.

[١٦] العظم، صادق جلال: في الحب والحب العذري، دار المدى، ط٨، دمشق، ٢٠٠٧م.

[١٧] غنيمى هلال، محمد: الحياة العاطفية بين العذرية والصوفية، دار نهضة مصر، القاهرة، ١٩٧٦م.

[١٨] القيسى، أحمد ناجى: بحث في حقيقة شيخ صنعان، مطبعة العانى، بغداد، ١٩٦٥م.

[١٩] لاهيجى، شمس الدين محمد: مفاتيح الإعجاز في شرح گلشن راز، محمدرضا خالقى برزگر، ط٦، زوّار، طهران، ١٣٨٥هـ.ش.

[٢٠] لبيب، الطاهر: سوسيولوجيا الغزل العربي، ترجمة المؤلف، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ٢٠٠٩م.

[٢١] المقحفي، إبراهيم، موسوعة الالقاب اليمنية، ج١، المؤسسة الجامعية، بيروت، ٢٠١٠م.

[٢٢] موسوعة الشعر العربى، مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم، الإصدار الأول، الإمارات العربية المتحدة، ٢٠٠٩م.

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
پرتال جامع علوم انسانی

Downloaded from aijh.modares.ac.ir at 10:39 IRDT on Monday August 31st 2020

جنون عارف و عشق زاهد در پرتوی عشق عذری
(با تأکید بر شیخ صنعان وسلاَّمهٔ القس)

یحیی عبید صالح عبید[۱]، غلام‌حسین غلام‌حسین‌زاده[۲]، کُبری روشن‌فکر[۳]

تاریخ دریافت: ۱۳۸۹/۱۲/۱ تاریخ پذیرش: ۱۳۹۰/۳/۳۱

داستان شیخ صنعان یکی از داستان‌های عاشقانه عرفانی نزد عرفاست، این داستان شبیه داستان زاهدانه عبدالرحمن ناسک مشهور به القس است. داستان سلاَّمهٔ القس دارای ویژگی‌های عشق عذری است، این نوع عشق نزد عرفا و زهاد به حکم «المجاز قنطرة الحقیقة» عبارت از راهی برای رسیدن به عشق حقیقی است و عبور از آن شرطی برای رسیدن به معشوق ازلی است.

بررسی مضامین داستان شیخ صنعان و دختر ترسا نشان می‌دهد که این داستان دارای ویژگی‌های عشق عذری است و شایستگی مقایسهٔ با داستان سلاَّمهٔ القس را دارد؛ ما در این مقاله با استفاده از دو روش تاریخی و توصیفی- تحلیلی و براساس رویکرد نقد تطبیقی در مدرسه‌ی امریکایی، این دو داستان را از حیث مضمون و موضوعات عاشقانه با عنایت به ویژگی‌های عشق عذری در ادبیات غنایی وپیوند عشق عفیف (مجازی) با عشق الهی (حقیقی) در ادبیات عرفانی، بررسی کرده‌ایم. آشکار ساختن شباهت‌ها و تفاوت‌های میان این دو داستان برای دسترسی به تفاوت‌های فکری، فرهنگی و مذهبی حاکم در آن زمان، توجه محققانی را که در این زمینه فعالیت دارند جلب می‌کند تا منظومه‌های عاشقانه را بار دیگر با نگاهی نو مورد بررسی قرار داده و با نظایر آن‌ها در پرتو عشق عفیف مقایسه کنند.

کلید واژگان: شیخ صنعان، سلاَّمهٔ القس، مضامین عاشقانه، عشق عذری، ادبیات تطبیقی

۱. دانشجوی دکتری گروه زبان و ادبیات فارسی دانشگاه تربیت مدرس، yahyaobaid@live.com
۲. دانشیار گروه زبان و ادبیات فارسی دانشگاه تربیت مدرس، gholamho@modares.ac.ir
۳. استادیار گروه زبان و ادبیات عربی دانشگاه تربیت مدرس، KRoshanfekr@gmail.com